جثث في ثياب الخروج

عبدالله الناصر



جثث في ثياب الخروج

شعـــــر

دار الفارابي

الكتاب: جثث في ثياب الخروج
المؤلف: عبدالله الناصر
لوحة الغلاف: فاطمة المحسن

الناشر: دار الفارابي ـ بيروت ـ لبنان
ت: 301461(01) ـ فاكس: 307775(01)
ص.ب: 3181/ 11 ـ الرمز البريدي: 2130 1107
e-mail: info@dar-alfarabi.com
www.dar-alfarabi.com

الطبعة الأولى 2012
ISBN: 978-9953-71-787-6

امشي حافية كي تدب الطمأنينة

في عروق الرخام!!

كرسيّ، ورائحةُ قهوة،

وعيناكِ

كلّ ما يلزم لدخولِ الجنة

عيناكِ تكفيان

لأغفوَ الآن على الورق

مبلّلاً حبري بندىً غامض

قيل إنه دمعُ ياقتي التي عدلتْ ثنيتها أصابعك في

الغيب

حين أراك للمرّةِ الأولى
لا تضعي الكثيرَ من الكُحلِ والظل
ذلك أني أشكّ في قدرتي على رؤيةِ الأشياء كما
هي من المرّة الأولى
خصوصاً إذا كانت هذه الأشياء باهظةً
ومليئةً بالتفاصيلِ
مثل عينيك

يكفي أن تقولي إنك تبرّجتِ
لأصدّقك
واتركي زينةَ عينيكِ للمرّةِ القادمة

ارفعي جفنكِ برفقٍ كي يلجَ ضوءُ عينيكِ روحي
بهدوء
دعي الشعاعَ يعالجُ ندمي وعظامي

واتركيه دافئاً وضاماً كي يرتقَ ثقوبَ عيني،
ويصحّح حدّةَ شغفي بالورد

حين أراكِ للمرّةِ الأولى

ارتدي قميصاً داكناً

لأستطيعَ تمييزَ الظلِ الذي سيتركه جسدكِ في
الغرفة
ولأنني لن أستطيعَ تمييزَ بياضكِ من بياضِ
الأقمشة
والملاكِ الذي يحرسُ ظهرك

أيضاً

ارتدي حذاءً واطئاً
لأصغيَ إلى الحدائقِ والظلالِ التي تتبعُ مشيتك
أو امشي حافيةً
كي تدبّ الطمأنينةُ في عروقِ الرخام

ودعي الكعبَ العالي الذي يخاصرُ قدمك بشغفٍ
ليطعنَ روحي بموسيقاهُ في المرّةِ القادمة

فكما قلت
أحتاجُ في المرّة الأولى
إلى هدوءٍ وعتمةٍ وظِلال
كي أصدّق أنكِ معي
ولأنني سأحدّقُ فيكِ طويلاً ببلاهةِ العشاق
دون أن أرى شيئاً واحداً

شيئاً واحداً أستطيعُ أن اذهبَ به معي إلى البيتِ
كطفلٍ
وأحلمَ به

لا تسأليني إذاً
من المرّة الأولى
عن عينيكِ

واسأليني مثلاً
عن الظلّ والعطرِ والهدوءِ الذي سكبته بغزارة
على الكنباتِ والوسائد

اسأليني عن درجةِ حرارةِ الغرفة
وعن درجةِ حرارةِ أصابعي
ولونِ وجهي

والجنّيات اللاتي كن يمسّدنَ حجراتِ القلب
والقهوةِ الباردة
والملاك الذي مرّ بي
ولفني بجناحِ نوره

دون أن أراه

مأتم

بمخمل روحكِ القاني
أدعكُ الزجاجَ طويلاً
كي أبصرَ المأتم
شاحذاً سكينَ الملكةِ بمبردِ الندم
كي تمرّ خطفاً
وتريحَ الذبيح

أنشغلُ بالمزيدِ من خيوطِ عينيك
لأحوكَ سماءً كابيةً
وقمراً يذرفُ على يدي الرأفة
ونخلةً برأسٍ مقطوع

وبدأبِ سجينٍ أبديّ
أشرعُ في حفرِ نفقٍ طويل
مهتدياً سنواتٍ ببياضِ يديك
ومتشمّماً نور أظفارك

....

أظفاركِ التي ستخرجني
من القبرِ يوماً
جثةً عمياء

صوتكِ الذي

صوتكِ
وردةٌ تستلقي على الماء
قلادةُ الشفقِ في ليلتيَ الأخيرة
ولكنةُ الغيم المتشقّق
في سماءِ الغريب

تهمسين
فتتهادى أسرابُ القطا
وتُفرِدُ ريشها فوق حافةِ الماء
ويسيلُ العسلُ على طرقاتِ الروح

صوتكِ تعويذتي في سماءِ الخوف

والكتابُ المسمومُ الذي أقرأ بلهفةٍ
كي يتسرّب الموتُ إلى قلبِ العاشق
وعلى شفتيهِ ابتسامة الزهو

صوتك الذي يتهادى بغموضٍ كحجرِ نَرْد
النحيلُ الذي ينبضُ في يدي كقلبِ عصفور
ويتلوى في الغرفة بأنفة بخورٍ باهظ

صوتك الطريّ كنهد كاعبٍ في الجنة
المبحوحِ كأنفاس طفلةٍ لم تترك حلمةَ الحنين
المخمليّ الذي يتهادى على رخامِ جرحي
كحفيفِ ثوبِ غانية
المطريّ الذي تنبتُ فوقه الخزامى
وتشمّه جنياتُ الحلم بنهمٍ جارف

صوتك الذي انسكب ببذخٍ فوق قميصي
وبلل نبيذه المشعُّ ضلوعيَ العارية

صوتك الذي يتسكّعُ كمطرٍ في العتمة
باحثاً عن طريدةٍ
أو قلبٍ
لا يلبث أن يسقط في ظللكِ
الذي لا ظل إلا ظله

صوتك الذي قدّ روحي من دبر
تركني
أجفّفُ الحنينَ فوق حبالهِ
طوال الليل
قبل أن تمرّ ضحكتك فوقي
وتمطر

مياه

إذ أيقظته المياه في رأسهِ
انتبه

خَرَقَ الوسائدَ التي في البيت
خرق الأسرّةَ والبحر

خرق روحه أيضاً
ليغرقَ أهلها
وينام.

بعد سنواتٍ
في الليل

قدّمتْ له امرأةٌ لا يعرفها
شاياً دافئاً وحيّته

مياهٌ غامضةٌ مشتْ في عينيها
فجأةً إذ ابتسمت

فجأةً لمح أثاثاً مبلّلاً

وجثثاً طافحةً

قبل أن تهرب.

كان سيخرقُ عينيها بقسوةٍ
لو لم تفطن

أقلقتهُ فكرةُ ظهورهم
في مياهٍ لا يعرفها

ولا يستطيعُ التسللَ إليها
في الليل.

شفاء

التي التوى كاحلها
ناديتها،

وقلتُ لكِ العين:

مياهي التي تملأُ طينةَ العين
كبريتيةٌ وتشفي

لم لا تهبطينَ سريعاً برجلكِ
حتى تعكري للحظةٍ
زجاجَ العين

ثم أهوي سحيقاً في جرف،

بينما ولأيامٍ:

ماسحاتُ زجاجِ السيارة

تدعكُ الزجاجَ النظيف

لو أنّ

العذقُ المحدودبُ

الهاجعُ أسفلَ غيمة

العذقُ الذي أجاءَه التمرُ إلى ليلٍ
وأصابعَ مقطوعةٍ
فضاجعهُ الغبار

العذقُ الذي قصّوا سلالمه الناتئة

أوانَ الخَرَاف

مدمىً بالدبس الحالك

مكتظاً في الأعلى

يتنفسُ في عصافيرَ
تنقرُهُ في الفجرِ وتروح

لو أن غيمةً تَسُلّ غباره

أو يداً بجناح
لا تصعر أصابعها!

لو أنّ......

المرأة التي تتقنُ البحر

المرأة التي تسللتْ إلى البهو بكامل طرائدها
تاركةً الملكَ وبلاطه مكبلينَ بالعذوبة
ومخدّرين بوهجِ الملائكة.

المرأة التي توجهتْ بخفّةٍ إلى الغابة
وقطعت بضربةٍ واحدةٍ شجرةَ النسيان،
جعلتني أمشي هذا الصباح مرتدياً وجهها في
الشوارع
تاركاً نادلةَ المقهى مذهولةً من عينيّ الطافحتين
بالأنوثة!

المرأةُ التي تتقنُ السماء والبحر

كانت تشعلُ بخورَ الغابات الكثّة بإصبعٍ نحيلة
تاركةً أرتالاً من سفني الضائعة تهتدي بطيبها
وتؤوبُ إلى اليابسة.

المرأة التي سقطت فوقي من سماءٍ سابعة
كيف لا تريدني أن أنكسرَ
وكيف لزجاجةِ روحي
ألا تخدشها ماستها الهائلة؟

الندى

يومَ أغمي على المصابيح
وقاءتْ سائلاً أسودَ
ارتطمَ بالحيّ
عرفوا فجأةً أصابعهم
وآنسوا بها الجُدُر
لكنهم ضلّوا في العتمة الطريقَ إلى غرفهم
وارتطموا بظلالٍ
لم تتبعهم.

حين اضطجعوا
أنكرتهم المضاجعُ
ولم تقوَ خفّتهم.

ناسٌ ثقيلون من ماءِ أحلام
إذ كفّت أصداغهم عن الندى
رفّتْ وسائدهم
والسماءُ اتكّأتْ على الأسطح.

السماء التي منذ عُمْرٍ خاليةٌ
وينهرُ يدَها
ريشٌ في البطائن،
كيف تَسَعُ بغتةً:

وسائدَ فارّة
ونوافذَ مخلّعة
وحرساً مجندلين؟

صلاة

مثلي
نسيتَ أيضاً
أن تمرّ المياه

ثم لم يكُ ممكناً
أن نخرقَ الصفوفَ
بعيونٍ غضّةٍ
عائدين.

القلبُ أخفى الماء

وعيوننا تصعدُ الآن

مثل صلاةٍ
لن تقبل.

ذئب

والغاً في ذئبٍ ، يصعدُ القلبُ مجرى الهواء.
يخضرّ في لحظةٍ يسيلُ على ثيابي مثل ثمرةٍ
فجّةٍ
روّعها ظلُ أصابعَ غريبةٍ حتى صارت توّاً
حامضة.

حامضاً يثبُ القلب من فمي مثل زجاجةٍ حارقةٍ
في الوجه تنفجرُ حتى حبيباتي ينفلشن زجاجاً
مجروشاً على الأسفلت.

كيف انفلتّ مثل ذئبٍ في شارعٍ ، فجأةً ، عرقه
صار جارحاً مثل أسيدٍ ونهشَ حباله؟

يلهثُ الآن، يفرط أنفاساً خشنةً ويسفكُ الهواء،
يسمعُ ارتطاماتٍ خلفه وشهقاتٍ خلّفها مروره
بينما يلجُ شارعاً أعزل ليقيءَ محروقاً زجاجة
قلبه، ماشياً بعدها على كسر الزجاج الملوّث
بحبيباته
وشايه قبل أن يخترقَ جسدَ المدينة صاعداً
بقدمين تضيئان شرفةَ امرأةٍ نامت عن غسيلها،

ليعوي.

أَبــد

التي تحلمُ بي البارحة
سقطتْ على العتبةِ
وابتلعت المفاتيح.

لذاكَ
لا أحد يفتحُ لي
وأموت

عِيار

كم أتعبتني أصابعك.
سأنامُ الآن
أديرُ ظهري لطلقةٍ تثقبني سنينَ سنين
ولا تتعب.

تأتينَ بعد قليلٍ
وألتفتُ
ربما لتُحكمي وجهكِ خلفي تماماً

سينوسُ قفايَ
ويصبحُ مبللاً في عينيك

تكّةٌ

أغمضُ

ثم ظللكِ خلفي يطيش

مدرك الركعة الأخيرة

مُدركُ الركعة الأخيرة
هوى في نصفه

طوالَ عينهِ
لم يكمل امرأةً
ولا ندى

غرفته الشمالية،
روحه أيضاً
مسودةٌ لا تنقّحها النساء

كتبه تنامُ ناقصةً

في الربعِ الأخير

سجائره تُدعكُ في الأوج

برتقالهُ جلطةٌ في كأسه

شايهُ آنيةُ فطرٍ وأبواغ

وردةُ حبيبته في الثلاّجة
تجمّدت بالأمس

علبُ الكولا،

غرفُ قلبه أيضاً
مفتوحةٌ ومهجورة

بقيةُ صحنهِ
طرفةُ الوالدة،
ولا مبرّر لثيابه في الغسيل

صادف أن حكت الأم
عن بركةِ آخر القصعة

حين في الصبح
ظلَّ نائماً
وهيَ بلا أصابع

غنائم

هل كنتَ طوال القلب

تجمعُ أحلاماً حامضةً

ووسائدَ بمخالب

وزبيباً مدهوساً

ونعناعاً متوحّشاً:

لأنه لا يُسمع لقدميها صوتٌ

على ورقِ الخريف!

جدارٌ طوال الليل

على الجبل:
جرّافاتٌ جمدتْ مخالبها
فجأةً في الهواء
وعلبة شفقٍ سقطتْ
من سقالة

بينما وحده الجدارُ
معصوباً يتهيأ...............

العمال الذين نزلوا للغداء
اختفوا منذ ساعات
هل خطفهم النعاسُ في ظُلةٍ إلى الليل

أم الجرّافاتُ ترتاحُ
تخلّعتْ أسنانها من كرز الجبل؟

العمال الذين اختفوا فجأةً

....

كيف ينسون جداراً
في الليل
أسماء حبيباتنا عليه خائفةٌ
تموتُ من البرد؟

يلزم تضميدها أولاً

غرفةٌ وحيدةٌ في فندق
غرفةٌ في الجناحِ الشرقي
تعني أثاثاً مع كمانِ الظلمة
ينخرطُ في الحنين،
يجرحهُ غيابٌ بذقنٍ مهمل:
كيف يجعلُ ثريّاتٍ
مغلولةً إلى عنقها، عرضة للظل؟

غرفةٌ وحيدةٌ في فندق
يلزم تضميدها أولاً
إذ:
❋ خشبٌ

لم يدفن وجههُ في ثيابٍ سيزرقّ
ربما تسقط شهقتهُ
مع وقع أقدامٍ في الممرّ، ويسجد

* مشجبٌ خرقوا كتفه
لم يظفر بريحٍ
أو يمسح أذى ياقة

* سجاجيدُ يابسةٌ تتفصّد انتظاراتها
وتَشخُص
– ربما مواطئ وسخةٌ
لو داست وبرها
كان هدأ –

* زحامُ شموسٍ زنخة

وفطرٌ ينهشُ نظراتٍ
على حديدِ الشرفة

* زجاجٌ
سيقضمُ أوّلَ إصبعٍ
تمسحه

مثل ما لم يُمسّ،
تتعب كثيراً
يلزم تضميدها أولاً

...... غرفةٌ وحيدةٌ في فندق

صيد

مربوطين إلى مياهٍ ينساها الليل،

ونحن ندلّي شباكنا
منتظرينَ لمعةَ الروح

ليس الصمتُ إلا صائدةَ بعوضٍ
ستفرقع

كلما اصطدنا نجمةً
هوى على أقفيتنا العالم!

الرجل الذي له رائحة التفاح

صار لهذا الرجلِ رائحة.

الرجل الذي كان له رائحةُ التفاح
ويضحكُ مثل بحّار.

الرجل الذي يرشّ ممرّات المشفى
ووجوهنا بالبحر.

الرجل الذي يحملُ تفاحته الحمراء
بشكلٍ دائمٍ وغامض.

قيل إن امرأةً ذات شعرٍ حالكٍ

سقطتْ في دمه

بعدها صارت له رائحةٌ
وصار لا ينامُ في مكانٍ
مع قلبه.

آن ينام الآن
يفتحُ صدره،
يخرجُ بقجةً
ينغش فيها دودٌ عظيم.

يراقبُ الدودَ كلّ ليلة
ولا يستطيعُ إدراكَ الرجل المحمول مثل مقانق
ولا النسوة اللائي يُنقلنَ ليلاً
مخدَّرات

هاتف

كل مساء

مع تكّة الفتح

يسقطُ قلبي مثل كمثرى
أمامي على رخامِ المدخل.

بضربةٍ واحدةٍ ينفلق
تحت سيف ساحرٍ
لا أراه.

هكذا كل ليلة

إذ أعود وحيداً
بصحفٍ ومعلّباتٍ،

أسمعُ هاتفه وأبكي
أبكي على الكنبةِ
حتى أنام........

أحلم أن الحزنَ يوقدُ من شجرٍ
وشَعر حبيبات.

أسمع سحرةً يطهون وصوت قُدُورٍ
وأفكّر في جاري كأنه معهم

لماذا لم يعد يا الله؟

لم يعد يشعلُ أرجيلته
أو ينسى إبريقاً كعادتهِ
يصيح

ترك سعالاً يَضمرُ
على الدَرَج

أثاثاً جديداً

وهاتفاً يتشلّع قلبهُ

كل مساء

فجأة

الليل اندلق طويلاً على المفرش
وآخر طاولةٍ تغمض
لا تؤلمها المرافقُ المغروزةُ
منذ ساعات.

فجأةً، إذ ينزعان مرافقهما
من الليل:

الخشبُ كظيظٌ من الندى
والشمعةُ
قوائمها في الهواء

عتبة

في منامهم

لا يدرونَ طوالَ القلب
كم أنفقنا من عتبات

ولا أيضاً
كم سيكونُ مؤلماً
ألاّ يصل إلينا الأهل.

فقط...
لأنا من شدّة انتظارنا
جلسنا على نظرةٍ لهم بالخطأ

وانتظرنا..

ثم لم نرهم

وامتلأت أعينهم

بجثثٍ في ثيابِ الخروج.

خزائن

هكذا أفترشُ حافةَ ليل
مدلّياً أخمصين في هواءٍ جارح
ظهري أربعٌ وعشرون خزانةً
كلما فتحتُ خزانةً
سالت عصافيرَ كسيحة

من يمنحني سماءً قانيةً
تكفلُ يتمَ هذا الغبار
من يمنحني جرحاً
.... لأطير؟!

صوف

أعمى أراهم يفتحون أكرةَ الفجر
خفافاً في الممرّات اليابسة
يقسّمون ماءً وأجنحة

أعمى أشيّعُ ساحلاً يجرّ ظهره
.... بكاءً مقتولاً هنا بمهارة
.... وحناءً مخنوقاً أسفلَ
في شرشف صلاةٍ بارد

أعمى أَصُرُّ أحلاماً معروقةً بيدٍ
وأفتحُ أخرى لصديقٍ
يضغطُ عليها بما يكفي

ليطيروا

أرْشـحُ أرشـحُ أرشـحُ أرشـح

.... ألا تتعب أيها الصوف؟!

منـــــارة

الوردةُ التي فطمتْ جيداً هذا الهواء
الجوع الذي يمدُّ رأسه
لا يقودان هواءً أعمى
إلى غرفةٍ رطبة

لمن إذاً
كل هذا البلاط الدبقِ بريش العصافير الفارّة
والسباباتِ المعطوبةِ
..... إنْ نسيتُ النافذة؟!

صباحٌ جبريّ

إطلاقاً
لم أشأْ إيقاظك.

الورقةُ عنوةً
سقطتْ على البلاط.

الورقةُ التي ينامُ
في آخرها

اسمك!

سطو

مسّهم الشفقُ
حتى خمشوا الهواء.

غلاظٌ هبطوا في النوم.

شمّوا عقب نظرةٍ
على الإفريز
فاقتلعوا الشبابيك.

لمحوا دخانَ أحلامٍ
يعالج غيوماً في السقف
فاحتملوا الأسقفَ

والمياه.

تركونا غرفاً منهوبةً
في السطح.

نفكرُ
أين ذهبوا بالنظرة
ماذا فعلوا بالمياه؟!

ثقابٌ في عينه

لا يعرفونه إلا من عينه
من اليدِ التي في عينه تلمع
ومن ذهبٍ غائرٍ في العينِ إذا ضحك
الأعرج الذي فتح داره للبحر.

قاطع الحنين

الأعرجُ مثل شمعة.

سقطتْ من حلمٍ عليه امرأةٌ
فانكسر

وطأ بعرجته السلالمَ والبحر
والقدمُ المرضوضةُ صارتْ
أسرعَ من دعاءِ أمه

الأعرجُ صائد النيات

ذو العين الغاربة

المطليّ سنواتٍ بالذهبِ وحطامِ السفنِ الثرية
تسحبه الخرائطُ إلى البحر
ولا تدركه النساء.

في عينه يدٌ تلوّح من سنينَ
ولا تتعب.

يدٌ طيبةٌ تلوّح مثل منديل

يدٌ مجلوبةٌ من البحر
فقدتها صاحبتها على البحر

هكذا قال:
أيما يد تلوّحُ لا بدّ لامرأةٍ كانت على البحر.

يدٌ فجأةً بكت في عينهِ
وذهَّبتها
غسلها مراراً وصوبنها ذاك الصباح
وما امّحت

من يومها زاغت عينه
أحبّ الأماكن العالية

وصار ينظرُ إلى النساء
ويطيل

صار يصعدُ السلالمَ والصواريَ
يتشوف

صار أباً فجأةً
وهمّه اليد التي تربت في سوادهِ
وملّحتْ عينه

يبصرُ المرافئَ والنساءَ والأطفال
ولا يرى التي بيدٍ ناقصةٍ
معهم

يفكر أنه احتفظ باليدِ أكثرَ مما يجب

أن صاحبتها ربما ماتت
من البحرِ والجوعِ ونقصِ التحية

طويلاً يطالعُ النساء من البحر
فجأةً، لطول ما نظر،
صار للمنتظرات كلهنّ أيدٍ ناقصةٌ

يفكر أنّ واحدةً فقط
واحدةً منهن ستتشهقُ لو أشعل (النارَ) في نفسه
الآن
وأن الأهل في غدٍ
سيخرجون من غرفته

جثتين

النبتة

كلما طالت النبتةُ
أدركنا خطأ الوالدة.

كنا نفقدُ وجوهنا بالتدريج
والتينةُ التي كانت دائماً
خلفنا
كانت مثلنا مرشّحةً للفقد.

قبل أيامٍ اضطُرّ الصغار للقفز
مثل جنادب في الحديقة
وظهر غصنٌ مكان ذقنِ الوالدة.

وأمس
ظهرتْ أغصانٌ تقطرُ مكان عينيها
(كانت توضّأت تواً)

....

أساساً
كان خطأً تجاهلُ النبتة
وتثبيت مرآةٍ على الجدار
أعلى قليلاً منها

صرنا لا نرى وجوهنا
في الحديقةِ بعد الوضوء:

لا التينة
ولا وجه الوالدة

صار لنا جميعاً الوجه نفسه:

النبتة دائماً في المرآة!!

كأنه الله

كأنه الله
ألقاكِ في الماء

ألقاكِ في سلّةٍ
في المهد ودلّك

بعدكِ

بعدما رست السلّةُ

لم يزُرْ بيتنا أحدٌ
ولم نقدر على الخروج

كان الحيّ كله على الماء

والنسوة عقمنَ فجأةً وصعدن؛

صوَّبنَ نظرةً من الأسطح
عليك

كنتِ جريحةً وتكبرين

تكبرين في السلّة
وتسدّينَ العتبة

أرضعتكِ نظراتنا في الغيبِ
ونمتِ لم نوقظك

نمتِ حتى صرتِ عتبةَ البيت

كنتِ تكبرين في السلة

تتعرّفين على السماء
والأمهات

وأنا لم أعرف أحداً سوى البيت
كبرتُ في غرفةٍ ولم أعرفْ
سوى البيت

بيتي الذي فجأةً تلفتّ
وكان وحدهُ على الماء

تُخدرينَ الشاي والروح

بالشرشف العُنّابي ذاته
الشرشف الرهيف المنقط
البارد دوماً

تؤوين بردَ البلاطاتِ بما يتشقّقُ
من كهوِف الأخمصين

واقفةً
تدوّخين السكّرَ والصلاة في إبريق

❊ ❊ ❊

وقت تسوقين حديدَ الملعقة
ليخدشَ هدأةَ المعدن

تحرّرينَ أغلالاً راسبةً لتطير

وبينما رنينٌ دمثٌ يفركُ الهواء
يسفحُ الماء أعطافه
هادراً كحنين

ربما المرامية تنفضُ روحها الآن
أو ربما تمسّدينَ أعناقَ حبقٍ
يألفُ بريةَ أصابعك
الأصابع ذاتها التي تغمسه في الحميم
ليضلل بدمه ما اعتكر من دمٍ
أو ليعالجَ الراشف ما يطلع

من شياطين.

وإذ تنتظرين كظلٍ
- ترجمين الوحشة بغناءٍ وئيد -
يطفو زبد آخر روحٍ قصية

وبينما تحرسين هلاكَ لهبٍ ضال
تغورُ وئيدةً رغوةُ الغرقى
كما سخطكِ الفالت علينا
أيضاً

تهبطين الآن
ليرشفوا "دم غزالةٍ" أطلقتِها
في الفناجين
لتدوّخَ شياطينهم

كما لتعلّقي نظراً قصيراً

هناك يومض

حيث تخدّرين الروح

حيث تخدّرين الشاي والروح

يغطون في الموج

يَغطّونَ في الموج.
لا أحدَ
يلحظ ساحلاً أصابته السماء
أو خرقت ظهرهُ
نجمةٌ رطبة.

لا أحدَ
بسكينِ فاكهةٍ
يفصلُ رقبةَ النوم.

يغطّون في الموج
ولا أحد سيهتم

لو لم نجد الساحلَ غداً

ووجدنا ورقةً

على السّرير.

أحياناً

مراتٍ حين أضِلّ الندى
ويكون اليأسُ لحماً ناشباً
في النواجذ

ربما كنتُ أرسمُ اسمكِ
سابحاً فوق السطر
ساقطاً تحته
مكوّماً
أو مشدوداً بطريقةٍ مؤلمةٍ إلى بعضه

تهمني يدك الصغيرةُ
أعتذر

ريحكِ في قميص هذا الفجر

ريحكِ في قميصِ هذا الفجر

إنها تمطر الآن
ويكفي أن أفتحَ النافذة
لأراهنَ على خروجكِ
أيضاً حافية.

أراكِ شجرةً على البلاط
وأسمعُ خفقَ رجليك.

المطرُ امتلأ بك
والسمكُ المربوطُ إلى شعرك

يتحرّكُ ساحباً قلبكِ بقوة
في المحيط.

إني أجد ريحك:
عقرب المطر يشيرُ إليك

المنبه يرنُّ في غرفةِ المسافر
من سنين

وأنتِ تضربين برجلك الماءَ
والبلاطَ تحاولينَ القفز.

الحنين سيرفعُ الآن أسرعي
المطرُ مغناطيس يسحبهم إلى النوافذ
والأسماء على الحيطان تبتلّ وتتذكّر

أسرعي قبل أن تخافَ امرأةٌ على غائبٍ
أو ملابسَ منشورةٍ من الليل

انزلي:

فالحيّ كله على الشبابيك

....

طرتِ أيتها المجنونة!!!

والهاتفُ رنّ طويلاً هذا الصباح!

يكبر هذا البكاء

دائماً يخفيكِ الشارعُ الصغير.

ناسيةً عقباً أبيضَ
في الصندلِ
يجلس يضيء

يجمعُ الصغارَ والشياطين
وفراشَ الواجهاتِ الحجرية.

دائماً تمضين قبل المغرب

غير ناظرةٍ

إلى ماءٍ حارَ في الشرفة
واخضرّ شاربه لمحاً
لحظةَ ملتِ في البيوت

الماء اخشوشن صوته
في الظلّ
كبرَ الآن
وربما يدكِ لا تقوى

الآن اخشوشن صوته
والنسوةُ يدنين لو مرّ

لكنكِ دائماً تمضين

يدكِ مكسورٌ ضوؤها في النهر

والماء لا يفززها.........

إذ أتعبه الضوء هذا الماء

....

يصيدُ نفسه

ليل

غرفُ السماءِ لا تسعُ الوحيد
ولا الليل يقدرُ أن يلمّه

ومثلما الحزن شعاعٌ
لم تمسسه فراشة،

فكّرت أن القمرَ دمعةٌ جمدت

ومرايا فاضحة،

وأنه يكفي أن تصعدَ السطح
تماماً قبل الدّيكة

لترى مع من تنام

حبيبةٌ تركتك

نساء بعد سنين

بعدما تركنا لفافتكَ في المقبرة

سنواتٍ أنفقنا
نفكّر في أشواق غامضةٍ
تصدرُها حقيبتك في الليل

سنواتٍ نتخلصُ من وجهك
مع بولِ منتصفِ الليل؛
مهملين الدبيبَ الهائل
لدويبات عظيمةٍ
في الخزانة

بعدك حلمنا بعيونٍ وفواكه
كان يوقظنا البولُ منها
وجفافُ الشفة

حلمنا بلصوصٍ
في حقيبتك التي تركت
ولم يكف الوقت لنخاف

نبتسمُ، لا نربكهم
كنا
نخطفُ شربةً
وننام

سنواتٍ

حتى البارحة أفقنا
على تكةٍ تخلعُ الباب

ونساءٍ يهرولن إلى المقبرة

سمكة

وضعت قرطكِ في كأس
وكلما أجاءني الدمعُ إلى البحر
انتبهت:

شربتُ منكِ
وآواني الذهب

بالأمس شربتُ
وحلمتُ بسمكةٍ ذهبيةٍ
تخبطُ في القلب

وضعتُ قرطكِ الآخر

على روايةٍ تحبينها
لتؤنسكِ في الغيب.

وها ألصقه بهذي الورقة
عارفاً أن السمكة
ستلمسُ فمي في النومِ
وتعود

نافذة

طوالَ سنتين
لم ألمس النافذة

طوال سنتين
كنت أكتفي بتخيلِ السماءِ من غرفتي

وأشمّ دعاءَ أمي يتصاعد
كدخانِ استغاثة

الحمامةُ التي بنت عشّها
منذ سنتين لم تتركه

وتركتني خائفاً من فكرةِ الفتح

لدرجة أنني لا أعلم إن كانت
ما زالت على الإفريز
أم لا

وهل هي – التي تحبسني الآن –
الحمامة ذاتها التي خفت عليها
قبل سنتين؟

أخافُ في الوقتِ الذي أفتحُ فيه
نافذتي

أن تكونَ السماء التي انتظرتُ

صارت جناحَ حمامة

يدك الصغيرة

في القاعة

وسطَ سرب أيدٍ
ومطرٍ رتيب

ترفُّ يدكِ الصغيرةُ على الكتاب

فترنّ أساورك
وتلمع في سهوب روحي
مع رعاةِ اليأس.

يدك الملوثةُ بحبرٍ ينامُ في القطن

يدك المجروحُ خنصرها،
تنتابني في النوم
وتفرشُ
في القاعةِ الصغيرة

سجادةً طويلةً
من صمت.

في الليل

لو يجيء الموت ضحىً

حيث الساكنون تركوا شاياً بارداً
في الفناجين
والمقابض بردت من غيابِ السابعة

لو يجيء ضحىً
على رؤوسِ أصابعه
خاطفاً قبلةً على سريرٍ بارد.........

سيبدو الأمرُ
مثل تقبيلِ جثةٍ

في الفورمالين.

ليأخذني الموت إذاً
في الليل

لحظةَ أحلمُ بك

نصوص الممر

(1)

تنّورتكِ الحمراء
تصبغُ كريات الدم
وتنقلُ الأكسجين والورد

تنورتك القصيرةُ
التي تُطيل الأمل

تفتحُ أبوابَ السأم

تدخلين كل مساء

من أيها شئت!!

(2)

ذيلُ الحصان
مرّ خطفاً على وجهي

تاركاً رائحةَ شعرها
فخّاً لهذا المساء!!

(3)

ستثقبُ قلبه الليلة
بكعبها الطويل
حين تذرعُ الممرّ
الذي لا ينتهي.

فيما اليأس يرنّ
على البلاطِ ويلمعُ
كدبوس!

(4)

في هذه المدينة
الأحلامُ كالخبزِ
مدموغةٌ بتاريخ!

لو أن تلك القصيدة لم تعجبك

حين تأتي النوبةُ أضغطُ على خاصرتي بقوة
مفكراً أنني لو لم أكتب تلك القصيدة قبل عقدٍ
لربما كنتُ أكثر شباباً مني الآن

لو أنّ تلك القصيدةَ لم تعجبكِ حينها
لربما كنتُ فعلتُ شيئاً آخر في العقد الفائتِ من
حياتي سوى أن أطاردكِ بلا طائلٍ

كصيادٍ يطاردُ أيّلاً في متحفِ التاريخ الطبيعي

وهكذا أفكرُ كيف سيكونُ فيلم حياتي

لو أن الله منحني عشرَ سنواتٍ بمعزلٍ عن برادة
صوتك وعينيك:

كنت سأبدو أكثر شبهاً بأبي بعد أن يطفئ الله
جيناتكِ المعلقة في دمي كعقدِ مصابيح

كنت سأسافرُ وحدي دون امرأةٍ تخاصرني
بصورةٍ افتراضيةٍ وترسلُ ظلها ليحرسني من
أذرعِ الجميلات في وهادِ سان فرانسيسكو

كنت سأكتبُ في المدائن التي أنزلُ بها عن امرأة
عابرةٍ كل مرةٍ كما يفعلُ على عجلٍ رسّامو
الشوارع وقطارات الأنفاق

كنت لن أتناولّ قهوتك بالبندق لسنوات ولن
أصابّ بحصياتٍ في الكلية إثرها تتركني ممنوعاً
من البندق ومشروبات تقويةِ الأمل

وكنت سأتمكّنُ من النظر إلى البئرِ القديمةِ في
عيني أمي حين أزورها دون أن تنسفها في كل
مرةٍ عيناكِ المغروزتان في عينيّ

في عشر سنوات كما تعلمين يمكنُ أن يفعلَ
المرءُ أشياء كثيرة:

مثل أن يبدو طبيعياً ويتحدث كالخلقِ عن السياسةِ وخفايا الأسرةِ المالكة وأميراتِ الشّرق في المنافي وطفولة ستيف جوبز ومؤخّرة كيم كاردشيان التي يتحدّث عنها كل الرجال الذين لم تجمّدهم عيناك

ومثل أن يكون للمرء أصدقاء يتسكّعُ معهم نهاية الأسبوع في بهوِ الفنادقِ الفخمة ليتحدثوا عن الثوراتِ والتنانيرِ القصيرةِ لزميلاتهم في البنك الفرنسي

مثل أن ينشر كتباً تافهةً من مقابلات نارية كان أجراها مع أشخاصٍ من قشّ وأقمشةٍ مفبركة

مثل أن يعتني بعضلاتِ جسده قليلاً ويجمع

المزيدَ من قمصانِ رالف لورين ولاكوست
وبيربري

مثل أن يلمعَ نفسه في الصحف بواسطة
أصدقائه النافذين الذين أضاعهم دفعةً واحدةً
حين فجأة التفتَ إليك

مثل أن ينام مبكراً ليطردَ كحلَ الحبيبةِ المغشوش
وبناتِ نعش من عينيه

مثل أن يجري تلك العمليةَ السّريةَ في جسده
التي قيل إنها ستجلبُ له الحظّ

مثل أن يلحق بتكبيرةِ إحرامِ الصبح كي يقرّ
بصرُ الوالدة الذي يطارده السكريّ

الوالدة التي لا تزالُ تقصّ على الملكين بعد الفجر أمنيتها بولد يؤتيه الله الحكمةَ لتبزّ به شقيقاتها اللاتي اعتدن تفريخَ القضاةِ ومفسّري الأحلام

ولكن عشر سنوات يا سيدتي من الانشغال بعينيك لم تترك لي القدرة على إنجاز شيء سوى لفّ المزيد من سجائرِ الندمِ والنصوص الرديئة التي صرتُ أكتبها منذ تلك القصيدة التي أعجبتك.

انتظار

من محلّ الوردِ
المقابل للمقبرة
يشتري ورداً
لا يعرفُ لمن
وينتظر

غسيل

بشفةٍ مسمومة

أقبّل الأطفال

وأمضغُ تبغَ الندم

مصفراً

للعناكبِ التي تزنرُ الهباء

في البيت

والزوجة التي تمدّ حبلَ غسيلها

من عنقي

كلّ صباح.

المحتويات